عليها فسهل عليه اكتساب تمامها بعناية من الله تعالى كما قد شاهدناه
من خلقه بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة وصدق
اللسان او السخاء كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل
ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل
ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف فيها هل هذه الخلق
جبلة او مكتسبة حكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن
جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن
رضي الله عنهما وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى
سعد بن وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال
يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديثه والجراة والجبن غرائز يضعها الله
حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة الحميدة
الجميلة كثيرة ولكن نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه
صلوات الله تعالى عليه وسلامه بها ان شاء الله تعالى فصل
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي
منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر الى العواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء
الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه
وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ
جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري
احواله واطراد سيره وطالع جوامع الكلام وحسن شمائله وبدايع
سيره وحكم حديثه وعلمه في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم
الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام

الانام وتقرير الشرايع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها
قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض و
النسب وغير ذلك مما سنبينه ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا
مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل هو
صلى الله عليه وسلم نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله
صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة في دلائل
نبوته والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا
فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه
حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله صلى الله عليه وسلم
معارفه الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما كان وما يكون
وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله
وخرست الالسنة دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره
وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند
الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمو
المؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو
ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به سبحانه نبيه صلى الله
عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عليه السلام
عن تأويلها فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد
ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الآية وقال تعالى فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية

Copyright © King Saud University